عشر وصايا

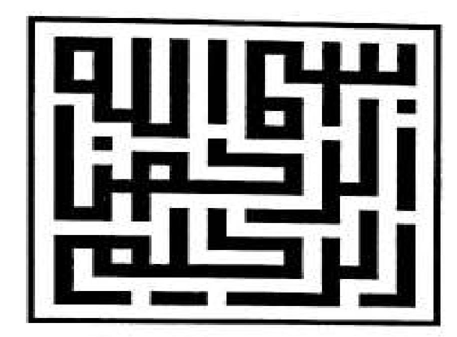
لقوة الحفظ وعلاج النسيان

(لطلاب العلم)

كتبه فضيلة الشيخ

بدر بن علي بن طامي العتيبي







للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٢٩١١/ ٢٠٠٨

جمهورية مصر العربية - القاهرة

جوال: ٠١٨ ٤٩٤٩٩٠٧ ٠٠٢

٠١١ ٢٤٤٧٤٥٦ ٠٠٢

للمراسلة والتحدث عبر الماسنجر:

DAR-AL-MAARIG@HOTMAIL.COM



لقوة الحفظ وعلاج النسيان

(لطلاب العلم)

كتبها فضيلة الشيخ

بدر بن عليّ بن طامي العتيبيّ

الطبعة الشرعية المعتمدة الوحيدة



للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

سألتني[١] -بارك الله فيكم- عن وسائل تقوية الحفظ، وعلاج النسيان، فأقول:

إن قوةَ الحفظ وضبطَه من جليلِ المزايا التي يتقدم بها طالب العلم على أقرانه، والعلم محله الصدور، ولا تُجحد مكانة الكتاب المسطور، ولكن الكتاب كفيل بحفظ العلم، وحفظ الصدر كفيل

(١) هذه الرسالة كتبها إجابة لسائل يطلب منه النصح بما يقوي حفظه، ويعالج به نسيان العلم، فكتبتها على وجه الاختصار.

باستحضاره، فيكون المحفوظ مع طالب العلم أينما حلَّ ونزل.

وحفظ العلم في الكتب لعامة الأمة، أما حفظه في الصدور فهو لخاصتهم من العلماء الراسخين، ولهذا فالقرآن الكريم لمَّا تكفل الله تعالىٰ بحفظه، كان أول حفظه وقراره في صدور الرجال، كما قال تعالىٰ عن كتابه الكريم: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

ثم لما خيف ذهابه بذهاب أهله، كُتب المصحف الشريف في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ومن جاء بعده من الصحابة ﷺ.

ومع ذلك يبقىٰ للحفظ مرتبةٌ عليَّةٌ عند العلماء يوزن به صاحب العلم ممن ليس من أهله، وما أجمل ما قيل في ذلك شعرًا:

علمي معي أينما يمَّمت يتبعني

بطني وعاء له لا بطن صندوقِ

إن كنتُ في البيتِ كان العلم معي

أو كنتُ فِي السوقِ كان العلمُ فِي السوقِ

وقال عبد الرزاق الصنعاني: «علمٌ لا يدخل مع صاحبه الحمام

فلا تعده علمًا».

وأنشدوا في ذلك:

ولـيس بعلـمٍ مـا حـوىٰ القِمَطـرُ
مـا العلـم إلا مـا حـواه الـصدْرُ
فـذاك فـيه شـرفٌ وفخـر
وزيـنةٌ جلـيلةٌ وقـدرُ[1]

وجملة القول: أن الحفظ شرفٌ لا يعدله شرف في ميدان العلم إذا كان علىٰ توحيدٍ وسنةٍ، أما إن كان علىٰ غير توحيد وسنة فلا قيمة له، ولا بركة فيه، ولا يُعد ميزانًا يقاس به الناس.

قال الإمام البربهاري في «شرح السُّنَّة»: «واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكن العالـم من اتبع الكتاب والسنة وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب».

---

(١) انظر هذا وما قبله في «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٣٧٤).

كما أن الحفظ المجرد عن الفهم لا يوازي قوة الفهم والإدراك وحسن التأمل في النصوص وفقهها ولو قلّ الحفظ.

قال ابن الجوزي في كتابه «الحث علىٰ حفظ العلم» في كلامه علىٰ ما ينبغي تقديمه من المحفوظات: «أول ما ينبغي تقديمه: مقدمة في الاعتقاد، تشتمل الدليل علىٰ معرفة الله سبحانه، ويُذكر فيها ما لابد منه، ثم يعرف الواجبات، ثم يحفظ القرآن، ثم سماع الحديث، ولابد من حفظ مقدمةٍ في النحو يقوم بها اللسان، والفقه عمدة العلوم.

وجمع العلوم ممدوح إلا أن أقوامًا أذهبوا الأعمار في حفظ النحو واللغة، وإنما يُعرف بها غريب القرآن والحديث، وما يفضل عن ذلك فليس بمذموم غير أن غيره أهم منه.

وإن أقوامًا أذهبوا أزمانهم في علوم القرآن فاشتغلوا بما غيره أصلح منه من الشواذ المهجورة، والعمر أنفس من تضييعه في هذا.

وإن أقوامًا أذهبوا أعمارهم في حفظ طرق الحديث، ولعمري أن ذلك حسن إلا أن تقديم غير ذلك أهم، فنرىٰ أكثر هؤلاء

المذكورين لا يعرفون الفقه الذي هو ألزم من ذلك، ومتىٰ أمعن طالب الحديث في السماع والكتابة ذهب زمان الحفظ، وإذا علت السن لَم يقدر علىٰ الحفظ المهم.

وإذا أردت أن تعرف شرف الفقه فانظر إلىٰ مرتبة الأصمعي في اللغة، وسيبويه في النحو، وابن معين في معرفة الرجال، كما بين ذلك، ومرتبة أحمد والشافعي في الفقه.

ثم لو حضر شيخ مسن له إسناد لا يعرف شيئًا من الفقه بين يديه شاب متفقه فجاءت مسألة: سكت الشيخ، وتكلم الشاب، وهذا يكفي في فضل الفقه.

ولقد تشاغل خلق كثير من أصحاب الحديث بعلوم الحديث، وأعرضوا عن الفقه، فلما سئلوا عن مسألة في الأحكام افتضحوا»[١].

ولا شك أن قوة الحفظ وضعفه وعارض النسيان من الأوصاف البشرية التي جبل الله الخلق عليها، وكلٌّ يتفاوت بحسب

---

(١) (ص٢٣-٢٤).

ما قسم الله له من هبات، فقوة الحفظ مَلَكةٌ تتنامىٰ في الإنسان، ومن الناس من تلين معه، ومنهم من تعصي عليه فلا ينال منها إلَّا القليل.

ولذلك فإنَّ من كبير عفو الله تعالىٰ: أن رفع عن عباده ما حصل منهم من ترك واجب أو فعل محذورٍ علىٰ وجه النسيان؛ لأنه ليس تحت قدرة ابن آدم.

قال تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ الآية [البقرة:٢٨٦].

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

ومع هذا كلِّه فقوة الحفظ والذاكرة من الملكات البشرية، وبمقدور ابن آدم تنميتها بقدر ما يستطيع، وهكذا سائر عاداته،

فالحلم بالتحلُّم، والعلم بالتعلُّم، والأدب بالتأدب، وكذا الحفظ وقوة الذاكرة.

وأنا أذكر لكَ -رعاك الله- بعضَ ما أراه مناسبًا لقوة الحفظ وعلاج نسيان العلم بما يلي على إيجاز.

❋ ❋ ❋

الوصيـة الأولـى

أولًا: مداومة ذكر الله تعالىٰ وتكراره، وهذه المداومة تكون بأمرين مهمين:

الأول: بدوام تجديد النية، وتحقيق الإخلاص لله تعالىٰ في توجهك وقصدك، كلما حسنت منك النية كلما زاد عون الله تعالىٰ لك، وهذا من عظيم بركة تجريد التوحيد لله تعالىٰ، وصفاء الإخلاص لله تعالىٰ.

روىٰ الخطيب في «الجامع» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنما يحفظ الرجل علىٰ قدر نيته»[1].

والكلام عن أهمية الإخلاص وفضله وثمرته يطول.

---

(١) «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٧).

وجملة القول: أن الخلاص في الإخلاص، وكما قيل: قولوا للمرائي: لا تتعب.

فإذا حُرِمَ طالبُ العلم من الإخلاص، فكدُّه وتعبُه وحفظُه ورحلتُه وجمعُه: تعبٌ ونصبٌ عقيمٌ لا أجرَ فيهِ ولا ثواب، فنعوذ بالله من الحرمان والخِذلان.

الثاني: مداومة الأوراد والأذكار اليومية، المطلقة منها والمقيدة، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤].

ولعل كون ذكر الله تعالىٰ من أعظم المسببات للحفظ من ثلاث جهات:

الأولىٰ: من حيث صلةُ العبد بالله تعالىٰ، ومن زاد وصله بالله نال العون من الله تعالىٰ والقوة، وكان الشيطان عنه أبعد، وهو من أعظم من يشاغب علىٰ ابن آدم بالنسيان، كما صنع مع صاحب موسىٰ عليه السلام فأنساه الحوت.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ

أَنسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف:٦٣].

والشيطان هو الذي أنسىٰ السجين ذكر يوسف ﷺ لعزيز مصر.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

وينسِّي أولياء الله ذكرَ الله الذي هو الصلة بينهم وبين ربهم.

قال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

وبهذا فلا يطرد الشيطان شيء أقوىٰ من ذكر الله تعالىٰ؛ لما فيه من دوام الصلة بالله تعالىٰ.

والشريعة قد رسمت لكَ منهجًا مطَّردًا يبقيك علىٰ اتصال دائم مع الله تعالىٰ بذكره وشكره والثناء عليه، فتنام بذكر الله، وتستيقظ، وتأكل وتشرب، وتدخل وتخرج، حتىٰ في دخولك الحمام وخروجك

منه لك قبله وبعده صلة بالله تعالى، فَلَازِم ذكر الله تعالى، وستجد من عجائب تثبيت الحفظ ما تقرُّ به عينك.

الثانية: وكذلك ذكر الله سبب لقوة الحفظ وقلة النسيان من جهة كونه سببًا رئيسًا لطمأنينة النفس.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

والنفسُ المطمئنة مؤهلةٌ لرسوخ الحفظ، وثبات العلم، أما إذا كانت مشغولة البال، مذبذبة الحال؛ فإن الحفظ عليها ثقيل.

وهذه الطمأنينة تكون بذكر الله تعالى، وباقتناص المكان والزمان الملائمين للحفظ والمذاكرة؛ ولهذا فإن من عادة الحذاق إذا أرادوا الحفظ أن يقتنصوا أهدأ الأوقات وأبعدها عن الضجيج، وزحام الناس وأصواتهم، وأفضل ما يكون ذلك ساعات السحر، وبعد صلاة الفجر، وكل وقتٍ أو مكان يسود فيه الهدوء.

تنبيه: جرت عادة بعض العامة إذا نسوا شيئًا تكرارهم الصلاة

علىٰ النبي ﷺ! ويقولون: اللهم صلِّ علىٰ النبي، اللهم صلِّ علىٰ محمد، ونحوه، وهذا لا أعلم عليه دليلًا يثبت، وهو خلاف ما تقدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤].

تنبيه آخر: لا يفوتك الحفظ والقراءة بعد الفجر، وإياك ونوم الكُسالىٰ؛ فإن في تلك اللحظات من البركة ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وما ذلك إلا ببركة دعاء النبي ﷺ لأمته حيث قال ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» رواه أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه، من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه.

فهذا الوقت أفضل الأوقات لأهل العلم خاصة في قضائه في تعلُّمٍ وتعليمٍ وحفظٍ ومذاكرةٍ وتصنيف، وقد حُرِمَ منه الكثير.

الثالثة: أن الذكر يكون به القوة البدنية، ونشاط القلب وقوته، وهذا ما يحتاجه طالب العلم، ومبتغي مداومة الحرص علىٰ الحفظ والطلب.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ

ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود:٥٢].

فالاستغفار يزيد من القوة، وليكن منك على بالٍ قصة علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة رضي الله عنهما وطلبها للخادم، ووصية الرسول ﷺ لهما بأن يسبحان الله ثلاثًا وثلاثين، ويحمدانه ثلاثًا وثلاثين، ويكبرانه أربعًا وثلاثين، وقال بأنه خير لهما من خادم؛ وذلك لأن هذا الذكر يزيد من قوتهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لَم أتغدَّ الغداء سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا»[١].

وقال: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف

---

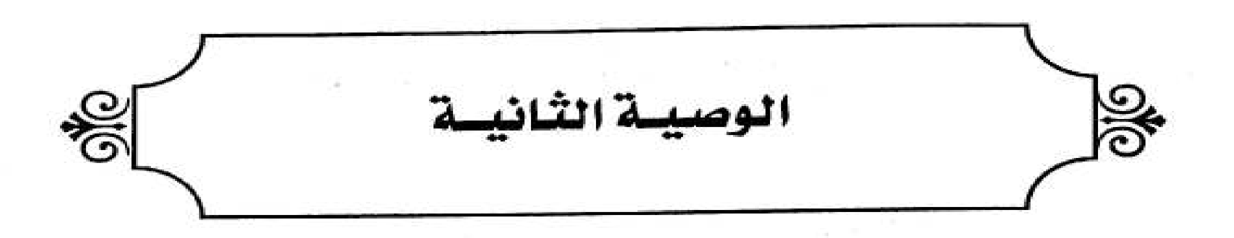
(١) «الوابل الصيب» (ص٦٣).

ما يكتبه الناسخ فِي جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته فِي الحرب أمرًا عظيمًا»[١].

❋ ❋ ❋

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٦).



ثانيًا: البعد عن المعاصي؛ لأنها صدأ القلوب -كما جاء في بعض الآثار-، وتدخل فيها الظلمةَ والوحشة.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها»[1].

وقال سهل بن عبد الله التستري: «حرام على قلبٍ يدخله النور وفيه شي مما يكره الله ﷻ»[2].

ويروى أن بعض السلف كان يسير مع تلميذ له فكأنه نظر إلى

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل» (رقم ٤٨٧)، و«الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٨).

(٢) «لطائف المعارف» (ص٢٦٨).

منكر، فنهره شيخه وقال: لتجدن عاقبتها ولو بعد حين.

فقال التلميذ: فما مضت الأيام والليالي إلا وأنا قد نسيت القرآن الكريم كله!

وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ومنتهى معنى التقوى: البعد عن المعاصي، وعن جميع ما يغضب الله تعالى.

فطهِّر جوفك وأركانك من المعاصي من الغِيبة، والنميمة، وسائر الفواحش، وأمراض القلوب؛ لتكون مهيئًا لحمل هذا العلم.

ولك التأمل في أنبياء الله تعالى، لما اصطفاهم الله تعالى واختارهم ليحملوا الرسالة، كانوا أكمل الناس أخلاقًا، وأبعدهم عن

سفاسف الصفات، وقبائح الطباع، فتهيأتْ قلوبُهم لحملِ كلام الله تعالى وحجته، والقيام بذلك أصدق قيام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولهذا كان أصدق الناس اتباعًا للأنبياء هم العلماء الصادقين الراسخين، وهم حفاظ دين الله تعالى؛ لأنهم أشبه الناس طريقة بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وهم ورثتهم صدقًا وعدلًا.

قال الزاهد بشر بن الحارث: «إذا أردت أن تلقّنَ العلم فلا تعص»[1].

وجاء رجلٌ -قيل بأنه الإمام الشافعي- إلى وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكو إليه ضعف حفظه، فقال له وكيع: استعن على الحفظ بترك المعاصي، فأنشأ الرجل يقول:

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي

(١) «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٨).

وأخبرنـــي بـــأن الـعــلـم نـــور
ونــــور الله لا يؤتـــى لعاصـــي

وقال علي بن خشرم لوكيع: تعلَمُ شيئًا للحفظ؟، قال: «ترك المعاصي عون على الحفظ»[١].

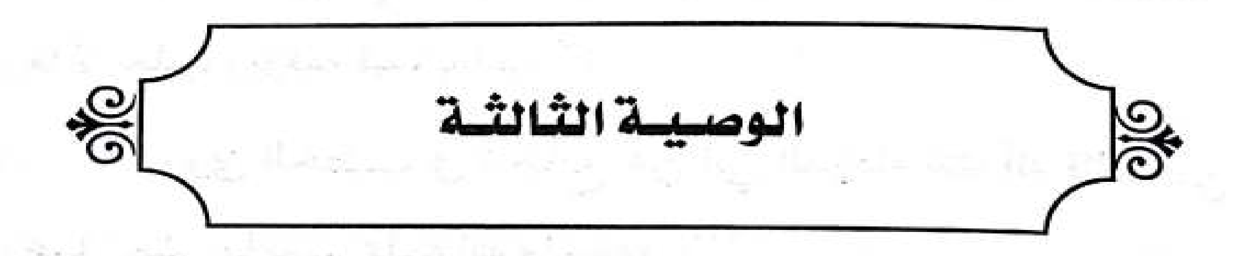
وجاء رجل للإمام مالك، وقال: يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: «إن كان يصلح له شيء، فترك المعاصي»[٢].

ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) «الجواب الكافي» لابن القيم (ص٣٤).



ثالثًا: العمل بما تعلم، وهذا يفيدك في ثبات العلم من جهتين:

الجهة الأولى: عملك بما تعلم يعلمك به الله ما لا تعلم، وذلك أن الله تعالى يكرم العامل بما علم، ويزيده من فضله.

قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧].

ويُروى في الخبر: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[1].

---

(١) روى هذا الخبر أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٥٠) مرفوعًا من حديث أنس ﷺ، ورأى جماعة من الحفاظ أنه وهم، وأن الصواب أنه مرويٌّ من قول عيسى ابن مريم عليه السلام، والله أعلم.

وقال الأوزاعي: «من عمل بما يعلم؛ كان حقًّا على الله أن يعلمه ما لا يعلم، ويوفقه فيما يعلم»[١].

وروى الخطيب في الجامع عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: «من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل»[٢].

روى عنه الإمام الآجري في «أخلاق العلماء» أنه قال: «لا يكون الرجل عالمًا حتى يكون بالعلم عاملًا»[٣].

ولا خير في علمٍ لا يصدِّقه العمل، فهو لا ينفع صاحبه.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من تسعر بهم النار ثلاثة...» ثم ذكر من بينهم: «متعلّم العلم، وقارئ القرآن» يؤتى ويقول الله تعالى له: «أَلَم أُعَلِّمْكَ مَا أَنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى، يا ربِّ. قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أَقومُ به آناءَ الليل وآناءَ النهار، فيقولُ اللهُ لهُ: كَذَبتَ، وتقولُ له الملائكةُ: كذبتَ، ويقولُ اللهُ لَهُ: بَل أَرَدْتَ أن

---

(١) من «ربيع الأبرار» للزمخشري (ص٣٢٦).

(٢) (١/ ٩٠).

(٣) (ص١٠٢).

يُقَالَ: فُلانٌ قَارِئ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِك...» الحديث، وهو في صحيح مسلم.

وعملك بعلمك من أوليَّاتِ الأمور التي يسألك الله تعالىٰ عنها يوم القيامة، كما روىٰ الإمام الترمذي في جامعه عن أبي برزة الأسلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة حتىٰ يُسأَلَ عن أربع: عن عُمُره فِيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فِيمَ أبلاه؟».

وما أجمل أن تنتفع بعلمك أولًا وينتفع بك المسلمون، كالروضة الخصيبة المثمرة، وبهذا ضرب بك النبي ﷺ المثلَ فيما صح عنه من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم، كمثل غَيْثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طَائِفَةٌ طيِّبَةٌ، قَبِلَت الماءَ فأنْبَتت الكلأَ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادِبُ أمْسَكت الماءَ، فنفع الله بها النَّاسَ، فشربوا منها، وسَقَوْا ورَعَوا، وأصابَ طَائِفَةً منها أخرىٰ، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كلأً؛ فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه في دين اللهِ ﷻ، ونَفَعَهُ ما بعثني الله به، فعلِمَ وعلَّم، ومَثَلُ من لَم يَرْفع بذلك رَأسًا، ولَم يقبل هُدىٰ اللهِ

الذي أرْسِلْتُ به». أخرجه البخاري ومسلم.

فهذا هو حال الناس مع العلم؛ منهم من علم وانتفع، وعلَّم غيره، وهذا هو الرابح المبارك.

ومنهم من نفع ولَم ينتفع، أو لَم ينفع ولَم ينتفع، وكلاهما مذموم.

والجهة الثانية: عملك بما تعلم يثبت حفظ ما علمت.

وما كان نسيان بني إسرائيل لكتبهم عدم حفظها، وإنما كان عدم العمل بها، فولَّد نسيان العمل نسيان العلم، وإلا فكتبهم محفوظة موجودة بين أيديهم.

روىٰ الإمام أحمد وابن ماجه عن زياد بن لبيد ﷺ قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا فقال: **«ذلك عند أوانِ ذهاب العِلمِ»**، قلت: يا رسول الله، كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلىٰ يوم القيامة؟

قال: «ثكِلتك أمك يا زياد، إِن كنتُ لأراك من أفقهِ رجلٍ في

المدينة، أَوَلَيسَ هذهِ اليهود والنصارىٰ يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بِشيء مما فيهما؟».

فأصل ثبات العلم هو العمل به.

قال سفيان الثوري: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»[١].

وكان وكيع بن الجراح يقول: «ما خطوت للدنيا منذ أربعين سنة، ولا سمعت حديثًا فنسيته. قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأني لَم أسمع شيئًا إلا عملت به».

وقال جماعة من السلف، منهم الشعبي ووكيع: «كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به»[٢].

ولهذا فإن أدلة السنن المتعلقة بالأفعال الدائمة أقرب لاستقرار

---

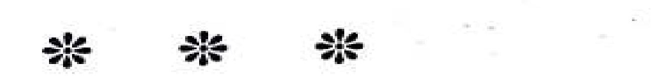
(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (رقم١٢٧٤)، ورواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (رقم٤٠) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

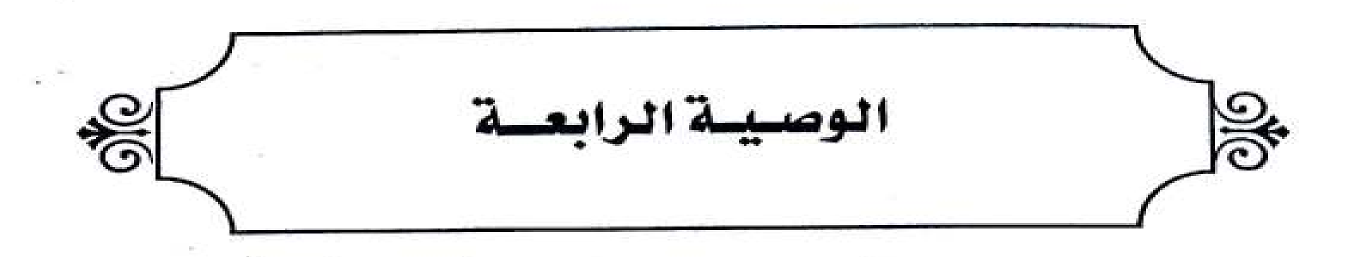
(٢) «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٨).

حفظها من بقية الأخبار؛ لأن المرء يمارسها دومًا، ولهذا فإن أخبار الكثير من العبادات أقرب في حفظها من بقية أحاديث الأبواب الأخرى.

وعليه؛ فكلما مرَّ بك سنة فاعمل بها؛ فإنك مع تكرار هذا العمل سوف يتكرر في ذهنك ذلك الخبر الذي حفظته وعملت به، بل يستحسن أنك كلما عملت بسنةٍ أن تقدم بين يديها أو حال العمل بها أو بعد ذلك الدليل عليه من حفظك، وتذكره لمن حولك، وتقول: عملت كذا لأن النبي ﷺ فعل ذلك فيما رواه فلان.

فإن هذا من أفضل ما يثبت الحفظ، وكم من سنةٍ نُقلت بسبب ذكر خبرها عند فعلٍ أو قولٍ من الأفعال والأقوال، ومن جنس ذلك الأحاديث المسلسلة المروية كالمسلسل بالأولية، والمسلسل بقراءة سورة الصف، والمسلسل بالمحبة ونحوه.





الوصيــة الرابعــة

رابعًا: تدريب العقل، وتنشيط الذاكرة، وهو ما يسمىٰ اليوم بالرياضة الذهنية، بمعنىٰ: أن المرء ينبغي أن يعوِّد نفسه علىٰ الحفظ، ولا يعتمد دائمًا علىٰ الكتابة أو التسجيل بالأجهزة المستحدثة، فهذا مما جعل الناس يوكلون حفظ العلم إلىٰ ذلك، وتركوا الحفظ.

ولهذا فإن من كان قبلنا أقوىٰ حفظًا، ومَنْ هو في البادية أقوىٰ حفظًا؛ لأنه يعلم أنه إنْ لَم يحفظ مباشرة، وإلا سوف تضيع منه هذه المعلومة.

ويكون التدريب بحفظ النص القصير في فترة زمنية قصيرة، ثم يأخذ نصًا مثله ويحاول حفظه في وقت أقصر من سابقه.

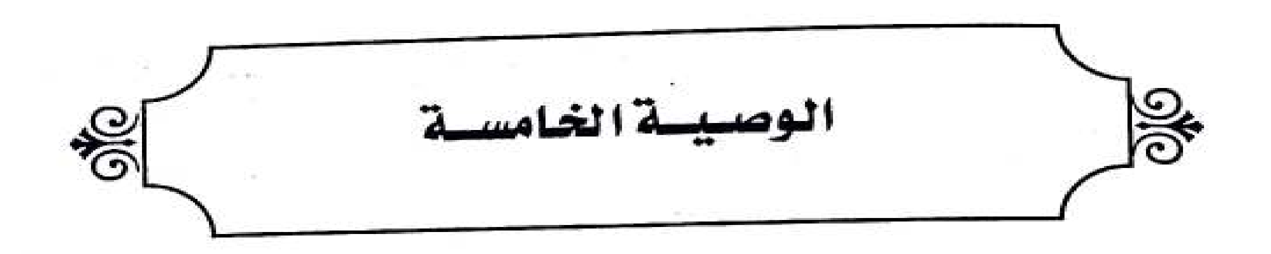
كأن يفرض علىٰ نفسه حفظ أربعين بيتًا من «ألفية السيوطي» في

ثلاث ساعات، ومن الغد يحاول حفظ خمسين بيتًا في الوقت نفسه، ومن بعد غدٍ يحفظ ستين بيتًا في الوقت نفسه، فيصبح الأمر عليه يسهل يومًا بعد يوم.

وأعرف بعض الإخوان ممن كان يشق عليه حفظ «الأربعين النووية» مع إصراره وتدرجه في الحفظ حفظ «الأربعين»، و«عمدة الأحكام»، بل زادت رغبته للحفظ إلىٰ ما هو أطول، وعندما عرضوا عليه بعض الكتب المختصرة قال: هذا سهل أحفظه في يوم !!

فانظر كيف آل الأمر إلىٰ هذه القوة بعد أن كان يتعذر عليه الحفظ بالكلية؟!

❊ ❊ ❊



الوصيــة الخامســة

خامسًا: كتابة المحفوظ ولو أكثر من مرة.

وقد جاء في الحديث: «قيدوا العلم بالكتاب»[(١)].

وأنشد الشاعر:

العلـــم صـــيد والكـــتابة قـــيده

قـــيد صـــيودك بالحـــبال المـــوثقه

فكل ما بلغك من علم فقيده كي لا يضيع، وكرر النظر فيه، بل كرر كتابته عشرات المرات حتىٰ تحفظه.

وقد كان من العلماء من كان يكرر كتابة الكتب حتىٰ يحفظها

(١) الحديث صحيح بمجموع طرقه، وعليه صنف الخطيب البغدادي كتابه «تقييد العلم»، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٤٠).

ومن ذلك: ما ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» عن ابن الخاضبة الدقاق أنه كتب صحيح مسلم بالأجرة سبع مرات.

وذكر عن ابن مرزوق الهروي أنه كتب جامع الترمذي ستّ مرات.

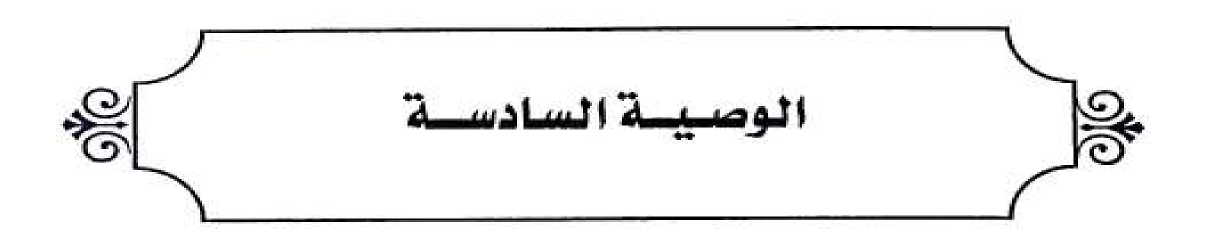
وذكر عن أبي الفضل المقدسي المعروف بابن القيسراني أنه كتب الصحيحين وسنن أبي داود سبع مرات بالأجرة، وسنن ابن ماجه عشر مرات، وذكر أنه بال الدم في رحلته في طلب الحديث مرتين.

وذكر عن ابن الجوزي أنه كتب بيده ألف مجلد.

ومرّ بي أن شيخ الإسلام ابن تيمية نسخ سنن أبي داود ست مرات.

ومنهم من كان يكتب الحديث في ورقة صغيره ينظر إليها بين الفينة والأخرىٰ حتىٰ يحفظه.

وما أجمل ما يرىٰ اليوم من بعض طلاب العلم من حمل دفتر الجيب الصغير لتسجل فيه الفوائد والإشكالات، حتىٰ تُحفظ، وكلما امتلأ كتابٌ أبدله بغيره، وهكذا.



الوصيـة السادسـة

سادسًا: المذاكرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

فمذاكرة العلم تزيد من ثباته ورسوخه في ذهن طالب العلم، كما قال عبد الله بن المعتز: «من أكثر مذاكرة العلماء لَم ينسَ ما علم، واستفاد ما لَم يعلم»[١].

وهذه المذاكرة إما:

١ – مع الغير.

٢ – أو مع النفس.

---

(١) «الجامع» للخطيب (٢/ ٤١٥).

ومع الغير، إما على طريقة:

١ - البحث والمذاكرة، وهذا عند أهل العلم في المحفوظ عنهم له طريقتان:

أ- طريقة المذاكرة بالأبواب والمسائل، وهذا يدخل في عامة العلوم فيقال: ما تحفظ في زكاة الحلي، وفي بيع العربون، وفي تعارض العمومات، وفي ميراث الجد، ونحو ذلك، فيذاكر جليسه بمثل هذه المسائل؛ فإنها تثبت العلم وتزيده، وهذه طريقة نبوية سلفية نافعة، وحديث جبريل الطويل أوضح شاهد على ذلك.

وثبت عن النبي ﷺ في غير حديثٍ أنه سأل أصحابة عن مسائل عديدة، كما قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: **«أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله»** متفق عليه.

وقال ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: **«أتدري أَيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟»** رواه مسلم، والأحاديث في الباب كثيرة.

ب- طريقة المذاكرة بمرويات الرجال، وهي أخص ما تكون

بالحديث النبوي، فيقال: ماذا تحفظ من حديث فلان، أو من مسند فلان، أو رواية فلان عن فلان، وهذا عزيز نادر الوجود في عصرنا، وهو قليل الارتباط بالفهم، بعكس سابقه.

ذكر الحافظ الذهبي في تاريخه أن إسحاق بن راهويه قال: «كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وأصحابنا، وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة؛ فيقول يحيىٰ من بينهم: وطريق كذا، فأقول: أليس قد صح هذا بإجماع منا؟ فيقولون: نعم، فأقول: ما تفسيره؟ ما فقهه؟ فيقفون كلهم، إلا أحمد بن حنبل».

وهاتان الطريقتان من أنفع الطرق في ثبات العلم ومراجعته؛ لما فيهما من عظيم الفوائد، وجليل العوائد علىٰ طالب العلم.

وهذا -كله- يحمله علىٰ انتقاء الجلساء، واغتنام الفرص، فيذاكر كلُّ صاحب فنٍّ فيما يحسن من العلوم.

روىٰ الحاكم في «معرفة علوم الحديث»[1] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: «تذاكروا الحديث؛ فإن الحديث يهيج الحديث».

---

(١) (ص ١٤٠) وما بعدها في جملة أخبار في الباب.

وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «تزاوروا، وأكثروا ذكر الحديث؛ فإنكم إن لَم تفعلوا يندرس الحديث».

وروى عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: «تذاكروا الحديث؛ فإن حياته مذاكرته».

وروى عن أبي صالح قال: «حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما يومًا بحديث فلم نحفظه، فتذاكرناه بيننا حتى حفظناه».

وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «تذاكروا الحديث لا يتفلت منكم، إنه ليس بمنزلة القرآن، إن القرآن محفوظ مجموع، وإنكم إن لَم تذاكروا الحديث تفلت منكم، ولا يقولن أحدكم: حدثت أمس ولا أحدث اليوم، بل حدث أمس، وحدث اليوم، وحدث غدًا».

وقال: «مذاكرة العلم ساعة خيرٌ من إحياء ليلة».

وكان جماعة من السلف يتذاكرون الساعات الطوال.

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت أذاكر وكيعًا بحديث الثوري، وكان إذا صلى

العشاء الآخرة خرج من المسجد إلىٰ منزله فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة عشرة أحاديث فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: أَمِلَّ علينا، فَأُمِلُّهَا عليهم.

وقال الخلال: ثنا أبو إسماعيل الترمذي: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: «كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف علىٰ الباب فيذاكره، فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان.

قال: هات.

قال: تحفظ عن سفيان، عن سلمة بن كهيل كذا؟

قال: نعم. ثنا يحيىٰ.

فيقول: سلمة كذا وكذا.

فيقول: ثنا عبد الرحمن.

فيقول: وعن سلمة كذا كذا.

فيقول: أنت حدثتنا، حتىٰ يفرغ من سلمة.

فيقول أحمد: فتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟

فيقول وكيع: لا.

ثم يأخذ في حديث شيخ، شيخ.

فلم يزل قائمًا حتىٰ جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب. أو قالت الزهرة.

وقال عبد الله: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتىٰ أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتىٰ أخبرك عن الكلام». انتهىٰ منقول الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: «قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث فذاكرته، فما زال يذاكرني حتىٰ جاء المؤذن وأذن للفجر»[1].

وروىٰ أبو خيثمة في كتاب «العلم» عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: «إحياء الحديث مذاكرته؛ فذاكروه.

---

(١) «الجامع» للخطيب (٢/ ٤١٦).

قال: فقال عبد الله بن شداد: يرحمك الله، كم من حديث أحييته فِي صدري قد كان مات»[1].

وأنشد ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مــا لذّتــي إلا روايــة مــسنَدٍ
قــد قــيّدت بفــصاحة الألفــاظِ

ومجــالسٍ فــيها تَحــلُّ ســكينةٌ
ومذاكــراتُ معاشــر الحفــاظِ

نالــوا الفــضيلة والكــرامة والنهــىٰ
مــن ربهــم بــرعايةٍ وحِفــاظِ

لاظــوا بــربِّ العــرش لمــا أيقــنوا
أنَّ الجــنانَ لعــصبةٍ لــوّاظ[2]

والأخبار والقصص في صور مذاكرة السلف كثيرة جدًّا، ومن أراد المزيد فليراجع كتب الأخبار، ومجاميع الحفاظ، والله المستعان.

(١) «كتاب العلم» لأبي خيثمة (ص١٩)، و«الجامع» للخطيب (٢/ ٤١٠).

(٢) «الجامع» للخطيب(٢/ ٤١٨).

٢- **والطريقة الثانية مع الغير**: عقد مجالس التحديث، وإقامة الدروس، والتحديث بالمحفوظ، وهذا سيأتي.

أما المذاكرة مع النفس: فتكون بتكرار المحفوظ أكثر من مرة، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعاهَدُوا هذا القرآن، فَوَالذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا من الإبل في عُقُلِها**» أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.

فإذا كان هذا مع كلام الله تعالىٰ الميسر للذِّكْرِ، فكيف بغيره من كتب العلم؟

فجدير بطالب العلم أن يهتم بمحفوظاته، ويجعل له وردًا يوميًا يراجع فيه محفوظاته، وخاصة ما كان من أمهات المتون العلمية[1]، وقواعد الانطلاق لطالب العلم، فهذه لا ينبغي أن تُنسىٰ،

(١) ككتاب «ثلاثة الأصول»، و«كتاب التوحيد»، و«العقيدة الواسطية» في التوحيد ومسائل العقيدة، و«عمدة الأحكام»، و«بلوغ المرام» في الحديث، و«دليل الطالب»، و«زاد المستقنع» في الفقه، و«الرحبية» في الفرائض، و«الجزرية»، و«تحفة الأطفال» في القراءات والتجويد، و«نخبة الفكر»، =

وعلى رأسها القرآن الكريم، وكذا سائر المتون العلمية التي يحرص العلماء على حفظها وتلقينها للطلاب.

ويقتنص في حفظه ومذاكرته الأوقات المناسبة لذلك.

قال الخليل النحوي: «وأصفى ما يكون ذهن الإنسان وقت السحر»(١).

وقال الخطيب البغدادي: «أجود أوقات الحفظ: الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغداة».

وقال: «حفظ الليل أنفع من حفظ النهار».

=

و«ألفية السيوطي» في مصطلح الحديث، و«الورقات»، و«مختصر التحرير» في أصول الفقه، و«منظومة أبي بكر الأهدل» في القواعد الفقهية، و«الآجرومية»، و«ألفية ابن مالك» في النحو، و«الجوهر المكنون» في البلاغة والبيان، و«منظومة الألبيري»، و«لامية الغزل»، و«دالية ابن عبد القوي» في الأدب، هذه بعض الأمثلة لما يجب ألا يفرط طالب العلم في حفظها واستحضارها دائمًا بعد القرآن الكريم.

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٥).

وقال: «وأفضل المذاكرة: مذاكرة الليل».

وفي الجملة: كلما كان الوقت مناسبًا للمذاكرة كلما كان الحفظ والاستذكار أقوىٰ، فلا يفوّته طالب العلم علىٰ نفسه.



الوصية السابعة

سابعًا: التحديث بالمحفوظ.

قال ابن عبد البر في «الجامع لبيان العلم وفضله»: «حدثنا وكيع: نا عيسى بن المسيب قال: سمعت إبراهيم يقول: إذا سمعت حديثًا فحدث به حين تسمعه، ولو أن تحدث به من لا يشتهيه؛ فإنه يكون كالكتاب في صدرك».

وهذا أشمل أوسع من المذاكرة، فالتحديث به هو أن تذكره في غالب مجالسك، وإذا جاء مقام يقتضي ذكره فلا تغفل عن التحديث به؛ فهو أنفع لك حفظًا، وأنفع للناس علمًا.

وتقدم قريبًا قول ابن عباس رضي الله عنهما: «ولا يقولن أحدكم: حدثت أمس ولا أحدث اليوم، بل حدث أمس، وحدث اليوم، وحدث غدًا».

وروىٰ أبو خيثمة في «كتاب العلم»، وابن عبد البر في «الجامع» عن إسماعيل بن رجاء قال: «كنا نجمع الصبيان فنحدثهم»[١].

وروىٰ ابن عبد البر في «الجامع» بإسناده إلىٰ سفيان قال: «قال إبراهيم: إنه ليطول علي الليل حتىٰ أصبح فألقاهم فربما أدسه بيني وبين نفسي أو أحدث به أهلي، قال أبو أسامة: يعني بقوله: أدسه، يقول: أحفظه».

وذكر ابن الجوزي في «الحث علىٰ حفظ العلم»[٢] أن أبا إسحاق الشيرازي كان يعيد الدرس مائة مرة.

وأنَّ الكياالهراسي كان يعيده سبعين مرة.

ونقل عن الحسن بن أبي بكر النيسابوري قوله: «لا يحصل الحفظ حتىٰ يعاد خمسين مرة».

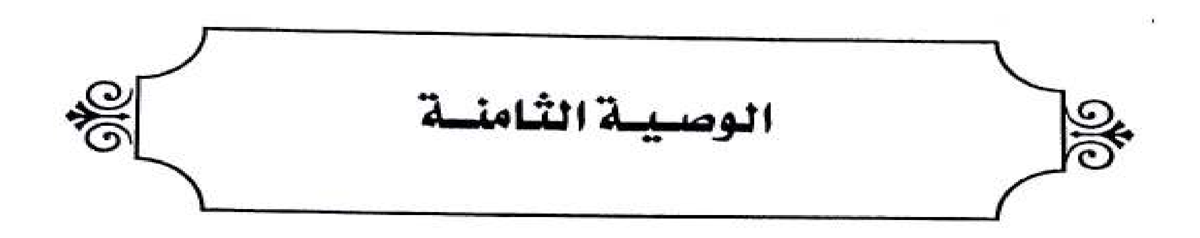
---

(١) (ص٢٠)، ولفظه عند ابن عبد البر بإسناده: عن إسماعيل بن رجاء: أنه كان يأتي صبيان الكتاب فيعرض عليهم حديثه كي لا ينساه.

(٢) (ص٢١).

وكذلك كُنْ، فلا تمل من إعادة محفوظاتك في مجالس المذاكرة والتحديث، والدروس العامة والخاصة، ولا حرج عليك أن تحدث اليوم في مجلس العلم من كتاب، وغدًا منه، وبعد غدٍ منه؛ فإن حفظك له لا يزداد إلا قوة.





ثامنًا: ربط المحفوظ ابتداءً بما سبق حفظه.

وهذه طريقة نبوية نافعة، كما روى الإمام مسلم من حديث علي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم**» رواه مسلم.

فربط حفظ هذا الدعاء بشيءٍ محسوسٍ فلا ينسى، حيث ربط الهداية بهداية الطريق، وربط السداد بتسديد السهم.

وذكر بعض أهل العلم في ذلك عند قول النبي ﷺ: «**سيروا هذا جمدان، سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**» رواه مسلم.

فصار الجبل تذكرة لفضيلة الذاكرين لله والذاكرات، فما ذُكِرَ

أو مَرّ بِهِ مارٌّ إلاّ ذُكِرت هذه الفضيلة.

فيربط الحافظ محفوظاته بأشياء محسوسة أو محفوظة من قبل، ولو بظاهر الألفاظ.

ومثال ذلك: إذا أردتَ أن تحفظَ تاريخ وفاة عالم أو رقم هاتفٍ أو رقم معاملة ما، فاربط الرقم برابط أكثر اختصارًا يسهل به حفظ الرقم، مثل رقم (٢٠٠٣٤٠٠) لكي تحفظه تقول: (مائتين) و(ضعفها) بينها (ثلاثة)، وهذا أسهل من حفظه طويلًا.

أو تربط الرقم برقم تحفظه من قبل؛ فتقول (٤٠٠) رقم سيارتي مثلًا! (٢٠٠٣) السنة الميلادية، أو آخر رقم هاتفي، أو رقم حقيبتي السري، وهكذا.

هذا في الأمور العادية، وفي تاريخ الوفيات تربط بين المحفوظات، وتقول: مات أبو حنيفة وعبد الملك ابن جريج في السنة التي ولد فيها الشافعي عام (١٥٠).

ومات الإمام الشافعي، وأبو داود الطيالسي، وأشهب صاحب

مالك، والحسن اللولؤي صاحب أبي حنيفة في سنة واحدة عام (٢٠٤)، وهي السنة التي وُلد فيها الإمام مسلم بن الحجاج.

ومثله ما اشتهر قولهم: أسلم أبو هريرة ﷺ عام خيبر سنة سبع، وتوفي أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ في طاعون عمواس، وهو سنة ١٨.

وهكذا تربط أكثر من محفوظ برابط واحد.

ويحصل أحيانًا باختصار الجُمَلِ في جملة أو بيت شعر ك: حروف الإظهار مجموعة في أوائل قولك: (أخي هاك علمًا حازه غير خاسر).

وحروف الإدغام هي حروف: (يرملون).

وحروف المضارعة مجموعة في كلمة: (نأيت) إذا جاءت في أول الفعل.

قال الحريري:

وسمطها الحاوي لها (نأيت)

فاسمع وعِ القول كما وعيت

وقال ابن مالك في «ألفيته» في تعريف الاسم:

بالجـــرِّ والتـــنوين والـــندا وأل
ومـــسندٌ للاســـم تمييـــز حـــصل

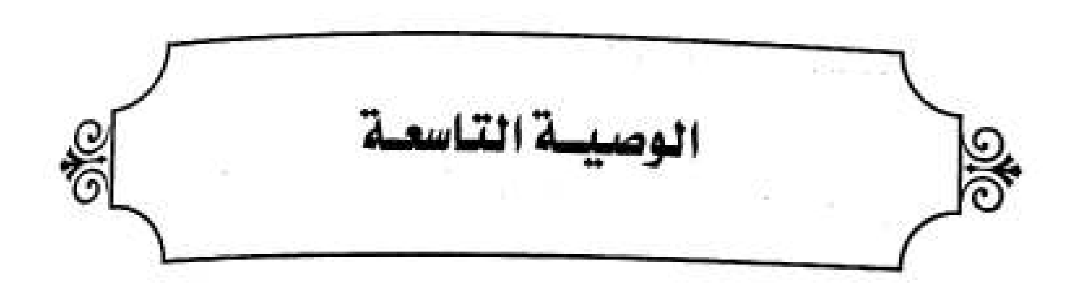
فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمس علامات تميز بها الاسم عن الفعل والحرف في بيت واحد، وربما لو أراد حفظها منثورة ما استطاع.

والعشرة المبشرون بالجنة غير الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جمعهم أبو بكر بن أبي داود في قوله:

سـعيد وسـعد وابـن عـوفٍ وطلحـة
وعامـــر فهـــرٍ والزبيـــر الممـــدحُ

وأحيانًا تختزل المعاني إلى أرقام وحروف متضمنة، أو دالة على معان مرادة، وهذا ما يسمى عند أهل الاختصاص بالاختزال المعرفي باختصار الألفاظ للدلالة على بعض المعاني، ويكون ذلك بالأرقام أو الحروف، وأحسن ما يُستخدم فيه: حروف الجمَّل، التي هي حروف الأبجد هوز، فكل حرف منها يدل على رقم.

❊ ❊ ❊



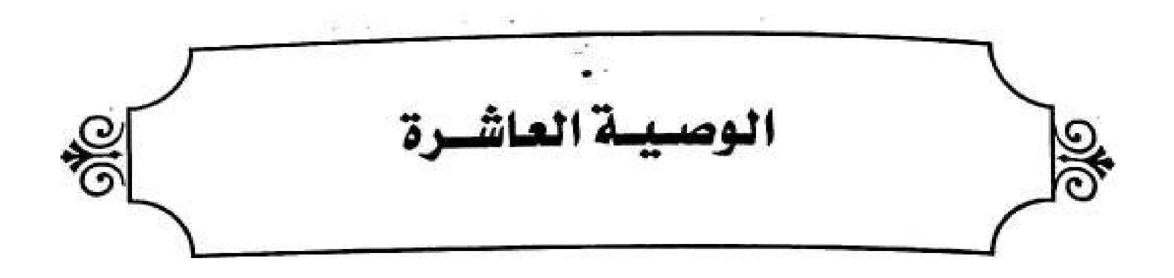
تاسعًا: أكل ما يعين علىٰ قوة الحفظ.

وكلُّ ما استهوته النفس من الطيبات فهو مقوٍّ للحفظ، كما أن كل ما تعافه النفس وتكرهه ويعكر مزاجها فهو مما يورث النسيان، وهناك بعض الأطعمة والأدوية التي تنشط الحافظة كـ: أكل الزبيب، واللبان، وشم الطيب، والحجامة، شرب زمزم.

كما أن هناك ما قالوا بأنه يورث النسيان: كأكل الباذنجان.

وكتب أدب الطلب والطب قد ذكرت الكثير من هذا.

❊ ❊ ❊



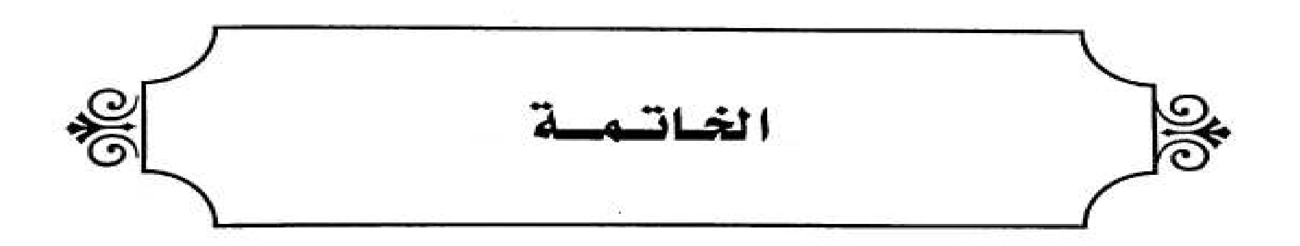
الوصيـة العاشـرة

عاشرًا: تنظيم الوقت وحياته المعيشية.

وذلك لأن تذبذب الحال، وعدم استقرار البال، يورث العقل الشتات، فيتردئ الحفظ، وتضطرب الذاكرة، فيسهل بذلك النسيان.

فيفرد من وقته ساعات للنظر والقراءة، وساعات للبحث والجمع، وساعات لأهله، وساعات لعبادته، وساعات للقرآن ومراجعة حفظه، وساعات لحفظ الحديث ومذاكرته، وساعات لحفظ المتون ومذاكرتها، وهكذا.

ويلتزم بهذا التوقيت فـ: **«أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ»**، كما قاله النبي ﷺ، متفق عليه.



الخاتمة

وهي خاتمة الوصايا، ومن أعظم مقويات الحفظ: معرفة مبلغ قدرتك، ومقارنتها بما هو عند غيرك، وما استطاعه غيرك، فهو غير مستحيل عليك بإذن الله تعالىٰ.

فعليه؛ فالواجب علىٰ من أراد قوة الحفظ ونشاط الهمة فيه: أن ينظر في سير الحفاظ كي تتقد الهمة بقراءة قوة حفظهم؛ فإن الناظر في سير السالفين في الطلب، والرحلة، والحفظ، والتأليف، وقوة الذاكرة، وكثرة الكتابة، والحرص علىٰ العلم، والسهر والجوع، والفقر والمرض في سبيل تعلمه، سوف تتقد همته بلهيب حماسهم المشرّف، فلربما حظي منهم بجذوة من كبير همة يصير بها بين أقرانه إمامًا.

فإذا علمتَ أن الإمام أحمد يحفظ ألفي ألف حديث -أي: مليونين- ألا ترىٰ بأن ألف حديثٍ ليست بشيء مقابل هذا، فسوف

يسهل عليك حفظ «بلوغ المرام»؛ فإنه قرابة الألف وستمائة حديث.

وإذا علمت أن الإمام الخطيب البغدادي قرأ صحيح البخاري في ثلاثة أيام علىٰ بعض شيوخه، فإن همتك تتقد فتقرأ «منتقىٰ الأخبار» في خمسة أيام، وهو دون صحيح البخاري بكثير.

فما فعله غيرك فهو ممكن لك، ومن سار علىٰ الدرب وصل.

قال ابن الوردي:

لا تقل قد ذهبت أربابه

كلُّ من سار عَلَىٰ الدرب وصل

ومن قرأ في تراجم الحفَّاظ فسوف يرىٰ العجب، وأخص بالذكر الكتب المصنفة في أخبار الحفاظ خاصة، ككتاب: «الحث علىٰ حفظ العلم» لابن الجوزي، فقد ذكر جملة من طبقات الحفاظ وما عندهم من حفظ مما يُذهل العقول.

وكذا كتاب «تذكرة الحفاظ»[1] للحافظ الذهبي وهو كتاب

---

(١) وكذا ما معه من كتب ملحقة به، مع التحذير من تعليقات الكوثري الهالك =

مهم جدير بمريد الحفظ أن يقرأه، وسوف يرىٰ من قصص الحفَّاظ ما لعله يزيد من النشاط علىٰ الحفظ.

فلابد لطالب العلم المبتدئ أن يقرأ هذا الكتاب ويتأمل فيه، فقد ذكر من سير أئمة الحفظ الشيء العجيب الذي يقضي بجلالة أولئك القوم، ومبلغ حرصهم علىٰ حفظ الدين ورعايته، وما يزيد من همته علىٰ الحفظ والطلب.

وإني أنقل لك مما ذكر الحافظ الذهبي عبارات لعلها توضح بعض ما في هذا الكتاب من فوائد:

فقد ذكر عن الشعبي أنه ما كتب قط، وأنه نسي من العلم ما لو حفظه غيره لصار عالمًا، وأنه ما حدث أحد عنده بحديث إلا حفظه ولَم يطلب إعادته، وقال: لو شئت لأنشدتكم شهرًا ولا أعيد.

=

علىٰ تلك الكتب الملحقة وما فيها من الانحراف عن السبيل والتهجم علىٰ علماء المسلمين، وأسأل الله أن يعين من أهل العلم من يعيد العناية بها طاهرة من تدنيس الكوثري.

وذكر عن الزهري أنه كان يكتب كل ما سمع، وما دخل قلبه علم فنسيه.

وكذلك ذكر عن قتادة.

وكذلك الثوري سفيان بن سعيد.

وذكر عن يحيي بن يمان الكوفي أنه كان يحفظ في المجلس الواحد خمسمائة حديث.

وذكر عن يزيد بن هارون أنه قال: حفظت حديث الفتون في جلسة، وأحفظ عشرين ألفًا؛ فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

قلت: وحديث الفتون حديث طويل في قصة موسىٰ عليه السلام أخرجه النسائي وغيره، وراجع كلام الإمام ابن كثير عنه في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

وذكر أنه قال: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر.

وذكر أن حفص بن غياث أملىٰ ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف حديث من حفظه.

وذكر أنه يروى أن هشامًا الكلبي حفظ القرآن في ثلاثة أيام.

وذكر أن سعيد بن منصور أملى عشرة آلاف حديث من حفظه.

وذكر عن محمد بن المظفر البغدادي أنه كان يحفظ عن شيخه الباغندي فقط مائة ألف حديث.

وذكر عن اليونارتي الحسن بن محمد الأصبهاني أنه كان يقرأ من سورة، ويكتب سورة أخرى في آن واحد.

وذكر أن ابن الجوزي كتب بأصبعه ألف مجلد.

وذكر عن أبي عمرو بن الصلاح أنه حفظ «المهذب في الفقه» ولَم يظهر شاربه.

وذكر عن ابن عقدة أحمد بن محمد الكوفي أنه قال عن نفسه: أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها.

كما ذكر عن أبي الحسن القطان علي بن إبراهيم أنه كان يحفظ مائة ألف حديث.

وذكر أن الختلي عبد الرحمن بن أحمد كان يملي خمسين ألف

حديث من حفظه.

وذكر عن أبي عمر الزاهد الشهير بغلام ثعلب أنه أملىٰ ثلاثين ألف حديث من حفظه.

وذكر عن العسال محمد بن أحمد أنه أملىٰ أربعين ألف حديث من حفظه.

وذكر عن خالد بن سعد القرطبي أنه حفظ عشرين حديثًا من مرة واحدة.

وذكر عن ابن الجعابي أن غلامه لما أخبره بأن كتبه قد ضاعت قال له: لا تغتم؛ فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل عليَّ حديث منها لا إسناده ولا متنه.

وذكر في ترجمة اليونيني تقي الدين محمد بن أبي الحسين البعلبكي أنه كان يحفظ «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، وحفظ «صحيح مسلم» في أربعة أشهر، وكان يكرر أكثر «مسند أحمد» من حفظه، وكان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد عن سبعين حديثًا، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية

في بعض يوم.

وذكر عن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حفظ كتاب «التنبيه» في أربعة أشهر ونصف، وفي بقية السنة قرأ «المهذب» من حفظه على شيخه الكمال إسحاق بن أحمد، وغير هذا كثير.

والمقصود: أن طالب العلم ينبغي عليه أن يحرص أشد الحرص، ويعطي العلم كل وقته، وأعمال البر من بر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء العبادات، تبارك في الوقت ولا تشغل عن طلب العلم.

كما أنصح بأن يقرأ ما صنف في أصول الطلب، ككتاب «الفقيه والمتفقه»، و«الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي، و«الجامع لأخلاق الراوي والسماع» له أيضًا، وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر، وكتاب «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة، وغيرها كثير.

ويقرأ ما كتبه المعاصرون في مؤلفاتهم، وهي كثيرة جدًا، ومن أهمها كتاب: «حلية طالب العلم» للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

وكتاب «صفحات من صبر العلماء»، و«قيمة الزمن» وكلاهما لعبد الفتاح أبو غدة، علىٰ تنبّهٍ من بعض زلاته.

والموضوع ثري بالفوائد والفرائد انتقيت منها ما يكفي للتوضيح، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

وكتب أخوكم

بدر بن علي بن طامي العتيبي

١٩ جمادىٰ الآخرة ١٤٢٤هـ

الفِهرِس

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊